هوامش

غيّب الحكم الشيوعي في الصين دائماً دور الديانات في الحياة الاجتماعية والثقافية لمواطنيه، لكنه اضطر عام 2009 إلى تأكيد احترامه للأقلية المسلمة في إقليم شينغيانغ إثر حوادث دموية زعزعت صورته

مسلمون يصلون في بكين (تويك سيليس/ فرانس برس)

مسلمو الصين
قبعة بيضاء ولحية

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

باختصار

هناك جوع روحي كبير لدى المسلمين الصينيين، وحاجة ماسة للتعبير عن القيم والذات والهوية

■■■

المقامات الموسيقية الـ 12 الخاصة بقومية الأويغور أدرجت في قائمة التراث الإنساني لـ «اليونسكو» التابعة للأمم المتحدة

■■■

الصينيون غير المسلمين يجهلون تماماً أي شيء يتعلق بالمسلمين في بلادهم

تقدّر إحصاءات غير رسمية عدد المسلمين في الصين بمائة مليون، بينما تشير تقارير حكومية إلى أن عددهم لا يتجاوز 23 مليوناً. ورغم أن دخول الدين الإسلامي إلى الصين يعود إلى أكثر من 1350 عاماً، لا يزال عامة الشعب الذي ينحدر أكثر من 91 في المائة منهم من قومية الهان، يجهلون أتباع هذا الدين حتى اليوم. تعتبر الصين دولة ملحدة في ظل نظام الحكم الشيوعي، لكن حوالي 18 في المائة من مواطنيها من أتباع البوذية، وهناك نسبة 5 في المائة من المسيحيين، وأقل من 2 في المائة من المسلمين. أما السكان فيتوزعون على 56 قومية، بينها 10 قوميات مسلمة، أكبرها الهُوي والأويغور. قومية الهوي هي أكبر مجموعة عرقية مسلمة، وثالث أكبر مجموعة عرقية في الصين، وتضم نسل مسلمين صينيين تحولوا إلى الإسلام، أو آخرين تزوجوا من مهاجرين مسلمين. أما معظم الأقليات المسلمة الأخرى فتتحدر من نسل الشعوب التركية، وتلك في آسيا الوسطى.

إرث ثقافي

رغم الاضطرابات العرقية التي شهدتها الصين خلال العقود الماضية، حافظ المسلمون على تمسكهم بهويتهم، وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، ما ساهم في إدراج العديد من عناصر التراث الديني للقوميات المسلمة في قوائم التراث الوطني للصين، مثل مساجد قديمة وأضرحة، إضافة إلى المقامات الموسيقية الـ 12 الخاصة بقومية الأويغور التي ضمتها قائمة التراث الإنساني الخاص بمنظمة «اليونسكو» التابعة للأمم المتحدة. ويتجلى الإرث الثقافي الإسلامي في عدة مجالات، مثل مراسم الزواج والجنازات وفن الخط والهندسة المعمارية التي تمزج بين التصاميم الإسلامية والصينية، إلى جانب الموسيقى والطب التقليدي وثقافة الحلال التي تؤثر في المطبخ الصيني. ويعتبر فن الخط أحد أقدم الفنون بالنسبة إلى المسلمين الصينيين الذين أعجبوا به منذ أن دخل الإسلام بلدهم، واطلعوا على نسخ من القرآن مكتوبة بخط اليد، وحاولوا إتقان كتابته، لكنهم واجهوا صعوبة لأن اللغة العربية تكتب من اليمين إلى اليسار بخلاف اللغة الصينية التي تكتب على هيئة رموز من أعلى إلى أسفل. وكان الحل في مزج الطريقتين، ما أضفى بعداً جمالياً على الخط الجديد. وينظر إلى المقامات الموسيقية الـ12 للأويغور باعتبارها هوية ثقافية لسكان إقليم شينغيانغ (شمال غرب)، حيث لا يخلو نشاط فني في الإقليم من مراسم عزف هذه المقامات والرقص على أنغامها التي تمثل قصة أقرب إلى قصيدة ملحنة على 12 سلماً موسيقياً، وتشبه إلى حد بعيد المقامات العربية والفارسية، لكن خصوصيتها تتمثل في المزج بين الثقافتين الإسلامية والتركية. وتبدو ثقافة الأكل الحلال وفق الشريعة الإسلامية الأكثر تأثيراً في حياة المسلمين الصينيين، علماً أن كلمة حلال باللغة الصينية هي تشينغ جن، وتعني «واضح وحقيقي»، واستخدمت في فترة السلالات الإمبراطورية الحاكمة للدلالة على طهي الطعام وفق الضوابط والمعايير الإسلامية، وانتشرت بعدها لتصبح رمزاً للديانة الإسلامية، خصوصاً في الحقبة الشيوعية. ومنذ قرون لا يزال المسلمون الصينيون يلتزمزن بفقه الطعام الإسلامي، ويتجنبون أكل الخنزير في بلد يعتبر الأكثر استهلاكاً للحومه.

الزواج والجنازات

يعتبر الزواج أحد القرارات الأكثر قدسية لدى المسلمين الصينيين، إذ لا يمكن إنجاز مراسمه من دون حضور رجال الدين الذين يتمتعون بمكانة لا يرتقي فوقها أحد مهما علا شأنه. أما الطلاق فمنبوذ وغير محبذ، تنفيذاً للحديث المأثور القائل إن «أبغض الحلال عند الله الطلاق». ويفسر ذلك ربما تدني حالات الطلاق بين المسلمين مقارنة بقوميات أخرى. وعموماً تختلف تقاليد الزواج بين القوميات المسلمة، لكنها تحصل كلها بحضور رجال الدين وأئمة المساجد. وتجري المراسم في النهار وليس المساء كما الحال في الدول العربية. وبالنسبة لقومية الهوي تجري مراسم الزواج يوم الجمعة، وغالباً في المسجد، ويكون المهر أطعمة ومرطبات وأقمشة حرير، وليس نقوداً. أما العروس التي تنتمي إلى قومية سالار فتخرج من بيت أهلها عبر المشي إلى الخلف حاملة في كفيّها كمية من القمح تنثرها على الأرض مع كل خطوة. ويترافق ذلك مع تكبير وتهليل من الأهل والأقارب. وفي شأن عادات الجنازات فلا تختلف كثيراً عنها في المنطقة العربية. ورغم أن السلطات الصينية لا تسمح بالدفن بسبب استنزاف الأراضي الزراعية، فضلاً عن تأثير البوذية على المجتمع وانتشار عادات حرق الجثث على نطاق واسع، لا يزال المسلمون يحتفظون بمقابرهم الخاصة. وتبدأ مراسم الجنازات بغسل الجثمان والصلاة على الميت في المسجد والدعاء له بالمغفرة، قبل تشييعه إلى المقبرة، ويحرص المسلمون على دفن الميت في مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، عملاً بمقولة «إكرام الميت دفنه».

افتخار بالجنسية والدين

عن التداخل بين الثقافتين الإسلامية والصينية، يقول الإمام يحيى يوان، وهو من قومية الهوي لـ «العربي الجديد»: «استطعنا في بلد متعدد القوميات والديانات أن نتمسك بهويتنا الثقافية، ونتكيف مع ظروف شهدت فيها البلاد اضطرابات بين معتقدات مختلفة». يضيف: الإسلام ديانة. وأنا كمسلم لا يجب أن أتخلى عن هويتي الوطنية لأنني صيني في النهاية. وأيضاً رغم أنني صيني فلا يعني ذلك الانسلاخ عن الثقافة والتراث والتاريخ الإسلامي. من هنا أفتخر بجنسيتي وديني معاً». تجدر الإشارة إلى أن المتابع عن قرب لأجواء المسلمين الصينيين يلاحظ جوعاً روحياً كبيراً، وحاجة ماسة للتعبير عن القيم والذات والهوية، علماً أنه في إطار التشدد الذي تمارسه في حق الأديان، سعت السلطات إلى أن تكون الديانات منسجمة مع التوجه الصيني، وقادرة على التكيف في شكل أفضل داخل المجتمع الاشتراكي، لذا يميز مسلمون كثيرون أنفسهم عبر ارتداء قبعات بيضاء وإطلاق اللحى، كي لا ينصهروا في المجتمع الصيني.

وجعل ذلك الصينيين غير المسلمين يجهلون تماماً أي شيء يتعلق بالمسلمين في بلادهم. ولو سألت أحدهم عن الإسلام سيظن أنه دولة وليس ديانة، كما أن بعضهم يتعامل مع كلمة حلال على أنها ماركة تجارية على غرار مجموعة مطاعم «ماكدونالدز» وشركة «كوكا كولا»، ولا تدل على طهي الطعام وفق الشريعة الإسلامية، حتى أن بعض الصينيين غير المسلمين يختصر مفهوم الإسلام بثلاث كلمات: قبعة بيضاء، ولحية.

وأخيراً

كيف تصنع الخوف مع الطاغية

رشا عمران

قد تستغرب، حينما ترى الإعلان عن حلقات المسلسل الوثائقي «كيف تصبح طاغية» أن صناع المسلسل لم يقدّموا عائلة الأسد وسورية من النماذج عن الطغاة في العالم، فالمسلسل الأميركي الذي أنتجته منصة نتفليكس أخيراً (يبثّ لأول مرة على الشاشة منذ 9 يوليو/ تموز الحالي)، وقدّم فيه، بدور الراوي المخرج والمنتج الأميركي (منتج منفذ للمسلسل أيضاً)، بيتر دينكلاج، في ست حلقات، مدة الواحدة حوالي الثلاثين دقيقة، ستة نماذج للطغاة في العالم. واضعاً ما يشبه الكتاب، يضم وصفات محدّدة يقترح صناع العمل أن طغاة العالم والراغبين بامتلاك السلطة والقوة يمكنهم أن يستلهموا منه كيف يصبحون طغاة، ويحكمون شعوباً بأكملها سنوات طويلة، وهي ترى فيهم أشباه آلهة، أو على الأقل يجعلها الخوف تشعر بذلك، أو تُبدي ذلك، حيث الخوف المتراكم عبر سنوات طويلة يحوّلها إلى شعوب «باطنية»، تظهر عكس ما تخفي، وهو ما يجعل الانتقام، عندما تأتي اللحظة المناسبة، من الطاغية وجماعته، مهولاً ومروّعاً، سواء من الشعوب نفسها، أو من أعداء الطاغية في الخارج، إذ غالباً ما تكون شبكة التحالفات الخارجية التي ينشئها الطاغية، خلال مسيرة حكمه، واهية وآنيّة، ولا تمتلك الديمومة الصالحة لاستمرار الحكم، مهما طالت مدته، إلا إذا استطاع الطاغية عزل بلاده تماماً عن العالم الخارجي، على طريقة كوريا الشمالية. لا يقدّم المسلسل جديداً لمتابع في الشأن السياسي والتاريخي، فكل النماذج التي قدّمت في الحلقات الست تاريخها الديكتاتوري والإجرامي معروفٌ للجميع، غير أن المسلسل استطاع تقديم معلومات معروفة بطريقةٍ فيها من التشويق والإثارة والاختزال ما يُنسي المشاهد أنه أمام مسلسل وثائقي تاريخي، حيث الكتاب المفترض، الذي يقدّم وصفات جاهزة لصنع الطغاة، أضفى على المسلسل منحىً قريباً من الكوميديا، بيد أنها الكوميديا السوداء، إن صحّ القول، فلا يوجد ما هو أكثر إيلاماً لمتابع من دول العالم الثالث، أو من دولة بوليسية أمنية، كسورية، أن يرى كيف تتم صناعة الخوف التي ميّزت مجتمعه، بحيث يزول الفاصل بين الوطن والنظام، ويوضع البلد، بكل ما فيه، باسم الزعيم الطاغية.

يقدّم المسلسل ست حلقات عن ستة طغاة، كل حلقة بعنوان مختلف يتناسب مع طريقة كل طاغية في صنع نظامه. يبدأ، كما هو متوقع، مع هتلر (الاستلاء على السلطة)، ويكمل في الحلقة الثانية مع صدّام حسين (سحق المنافسين)، ليصل في الثالثة إلى (الحكم من خلال الإرهاب) وعيدي أمين، ثم ستالين في الرابعة (السيطرة على الحقيقة)، ومعمر القذافي و(بناء مجتمع جديد) في الخامسة، ليختم المسلسل مع الديكتاتورية التي لا مثيل لها في التاريخ البشري، كيم إيل سونغ وورثته في حكم كوريا الشمالية، تحت عنوان (الحكم مدى الحياة). لكننا نكتشف مع الحلقات أن العناوين هي الوصفة الأولى المعتمدة لدى كل طاغيةٍ ليكرّس سلطته، لكن التفاصيل الأخرى تكاد تكون متشابهة، حيث تصلح كل العناوين لتكون عامة للشخصيات الست، ولباقي طغاة العالم ممن ذكرهم صناع المسلسل في المقدّمة، كماو تسي تونغ، مثلاً، وممن أغفل ذكرهم تماماً كآل الأسد. لماذا لم يضع المسلسل حكم آل الأسد نموذجاً عن الطغاة في العالم؟ قد تخطر لنا نظرية المؤامرة ومحاولة تعويم نظام الأسد عالمياً، خصوصاً أن المسلسل أُنتج في العام الحالي. أظن أن المسألة تتعلق بمسار حافظ الأسد في تكريس حكمه، فيمكنك أن تدرك، وأنت تتابع الحلقات الست، أن المذكور لم تكن له وصفة خاصة به، استعار وصفات جميع طغاة العالم، فقد استولى على السلطة وسحق منافسيه وحكم عبر الإرهاب وسيطر على الحقيقة وبنى مجتمعاً سورياً جديداً يشبه ما أراده ومكّنه من الحكم مدى الحياة، عبر توريث ابنه الذي استطاع تدمير سورية ليحافظ على حكم السلالة. لا الأسد الأب ولا وريثه المجرم امتلكا وصفة حصرية بهما، استعار اثناهما وصفات طغاة التاريخ، وطبّقاها في سورية المنكوبة، على الرغم من أن الوريث لا يستحقّ حتى لقب طاغية، لا يملك صفاتٍ كاريزمية قيادية تؤهّله لذلك، وما استمراره إلا بسبب تحالفات سياسية خارجية، لن تتمكّن من إبقائه إلى الأبد على طريقة كوريا الشمالية، إذ لم يستطع والده عزل سورية نهائياً عن محيطها، وعن العالم الخارجي، على الرغم من محاولاته لذلك. خرج السوريون يوماً من القمقم، ولن يتمكّن أحد من إعادتهم إليه، مهما ارتكب من إجرام.

> خرج السوريون يوماً من القمقم، ولن يتمكّن أحد من إعادتهم إليه، مهما ارتكب من إجرام

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**